خليل مطران بك يعرّف الشرق والغرب

اللغة العربية وذخائرها الادبية
قديماً وحديثاً

نص الخطبة البليغة التي القاها في المجمع العلمي العربي بدمشق

ايها السادة : قد شرفني الجهابذة الاجلاء عماد هذا المجمع العلمي الجليل بادناء مكاني من مكانهم . واين انا من اولئك الذين ملأوا الافق انوارهم وتعمر الشرق آثارهم . اين انا منهم لولا نظرة عطف من معالي رئيسهم البحاثة العلامة الذي بعث في زمنه اشتات مفاخر وطنه فقلد العربية قلادة من المثل لا تقوّم بثمن . ولولا حسن استجابة من زملائه الفضلاء لدعائه الكريم في شأن صديقه القديم . فلهم فضل اول بما اولوني من فخر الانتخاب اعقبه فضل ثانٍ بما اتاحوا لي اليوم من حظ المثول لدى صفوة من شيوخ تباهي بهم الحاضرة الاموية سائر الحواضر ونخبة من فتيان ارى فيهم تباشير صبح جديد لسعادة الدولة السورية ورقيها الحسي والمعنوي الى النهاية التي تجدر ببلوغها امة عظيمة كهذه الامة الكريمة

قد تتم المعجب والمطرب من ذاك البيان الخلاب الرائع الذي حضني به صديقي الاستاذ الكبير الشيخ عبد القادر المغربي واخذتكم بلا شك في بسطه الجميل قوة فصاحته، فهل ترك لي ذريعة وانا اتكلم بعده لا اكون عند ما اقرّ في نفوسكم من حسن الظن بي . على انهُ اذا فاتني فيما ازجيه من البضاعة ان ابلغ ما اراد ابلاغي من عالي رأيكم فلي شفيع لا يخيب في رحابكم . اني لضيفكم واني لجاركم وانتم خير من اكرم الضيف واعزّ الجار

اثيرت في اخريات هذه السنين حركة عمد مثيروها الى احداث ريب في النفوس من جهة صلاح اللغة العربية الفصحى او كفايتها لمجاراة العصر في مقتضياته حتى الادبية منها. ويقيني انهُ اذا كان هناك قصور فهو منا وليس منها فلذلك بدا لي ان كلمات القيها من على هذا المنبر في اثبات ما اعتقدهُ اعتقاداً راسخاً من صلاح لغتنا او كفايتها للابانة بسلامة وقوة وجمال عن انواع الاغراض الحديثة وخصوصاً ما يتصل منها بالادب تكون اخلق بان تسترعي لها اسماعكم . وقد توخيت لهذه الكلمات من طريق موافقتكم عليها — ان فازت

يشرف هذه الموافقة — ان تصدر عن ندوتكم هذه درساً يجني منهُ شبابنا في مختلف الاقطار العربية فائدتين جليلتين : اولاهما ان يعرفوا ما وسائل لغتهم الفصحى واداواتها المتوافرة ومفاتيح مفاخرها . وثانيتهما ان يتبينوا ما تسومهم الرغبة في معرفتها واجادتها من المطالبات على ما يحول بينهم وبين استيفائها في الحالة الراهنة من الشاق التي نرجو ان تقلَّ تدريجاً على يد هذا المجمع الجليل وسائر المعاهد الرسمية وغير الرسمية التي تتحو نحوه في الامم الناطقة بالضاد

لم تخلق اللغة العربية من اصل جامد فيقضى عليها بالجمود ولم ترسم لها من بدء امرها دائرة ضيقة فيحظر على المجتهدين ان يتعدوها . وقد نبَّه على ذلك ائمة من المتقدمين فقالوا ان اللغة تقع متلاحقة متنابعة . فهي اذن تنمو بنمو حضارة اهلها وتتسع وتتشعب باتساع حاجاتهم وتشعبها . على ان نفي المشاركة في اصول اللغة اية كانت او في الفروع التي تستتبها الدهور على تلك الاصول لا يستطاع . ونفي الاثر الذي تحدثهُ كل لغة في الاخرى بحكم الجوار او الفتح الحربي او الغلبة السلمية من فكرية واقتصادية لا يستطاع ايضاً . ولكن كل ذلك لا ينفي ان يغير طابع اللغة ولا ان يعدل ذاتيتها او يمس جوهرها اذا ردَّ الى حدود المقوِّمات التي تفرق بينها وبين سواها كما تختلف الوجوه وتتمايز الشخوص

تألفت لغتنا العربية في منشئها من لغات تقدمتها ومن مواضعات جماعاتها اياها لغات عاصرتها حيناً في الدلالة القاطعة عليها ما ورد من الفاظها في افصح كتاب عربي . فهي ، اي اللغة ، لم تكن وحياً ولا توقيفاً . كذلك المشاركة في المعاني واتجاهاتها واشتات المذاهب التي يذهبها الكتاب في طرائق ابرازها للناس لتقع مواقعها من نفوسهم تبعاً لاتساع الحضارة وضروب التأنق في العيش وتهيؤ الاذهان حيناً بعد حين لايثار خطة في الانشاء على خطة اخرى لاسبيل للارتياب فيها وحكمها في لغتنا حكمها في كل لغة عتيدة او عهيدة

غير ان هذه المشاركة مهما تعددت مآتيها شيء وذاتية اللغة شيء آخر

عناصر الجسم مما تشترك فيه انطبيعة كلها ولكنهُ بها يصبح جسماً حيًّا له توامه الخاص وبها يعيش عيشة تختلف بمفاعيلها عن عيشة كل جسم سواه

من هو الاديب ؟

اذا تقرر هذا فلنسرح الطرف من مشرف عال مارين بمخلَّفات الاحقاب مروراً سريعاً لنتبين هل من محلٍّ للارتياب في ان اللغة العربية الفصحى تكفي حديثاً كما كفت قديماً لتجاري باديها الخاص ادب اية لغة سواها . ولعل احسن ما يتأتى لنا به حصر هذا البحث وتضييق دائرته على قدر هو ان يقع التفاهم بيننا على تعريف الاديب . فمن هو الاديب ؟

هو الذي يحسن التعبير بالاصطلاحات المتواضع عليها في كل لغة عما يوحيه اليه عقله او تحيش به نوازعه واهواؤه او يقع عليها حسه ، مصوغاً في الفاظ فصيحة ، مفرغاً في قالب اصيل خالص. والسر كل السر في احسانه الامانة ان يملك لغته فيصرفها في الاداء تصريف المتضلع منها ، المستبحر في فنونها ، البصير بمفرداتها الخبير بتراكيبها المتشبع بروحانيتها — ولكل لغة روحانيتها — الواسم بوسمها كل مادة يجري بها قصه وكل صائغة صادرة عنه او طارئة عليه ، المجدد تبعاً لزمانه ومكانه ما تلقاه عن امته وثقافتها في الصورة التي يتوعها كل زمان وكل مكان ، المضيف اليها من ابتكاره او ابتداعه طرائف لا تمتنع معها صحة طابعها ولا يمس جوهرها ولا مقوماتها

فيما قدمناه نظرنا الى الاديب ولم نشرك معه الفيلسوف والرياضي والكيماوي فان المقصود في بحثنا انما هو الاديب المحض لا تني عنه ان يضرب بسهام في اشتات العلوم ولا ان يلم بكل فرع وفن مما يستكمل به وسائل التفكير ليتسنى له التعبير عن مختلف الاغراض الحادثة مع لزوم الحد الذي يرسمه الادب اللباب ويتأتى معه حسن النسج ولطف اختيار الاساليب لجلاء المدلولات . فان كان الاديب ما عرفنا وكان الميدان الذي يجول فيه لسانه وقلمه ما وصفنا فقد ثبت بالبداهة ان كل لغة مستكملة الوضع واضحة الاعلام قائمة النحوم راسخة القواعد مائلة للشرود والبلبلة ، صالحة لتكوين الاديب

وتكوين الاديب له شرطان احدهما حصوله على ملكة اللسان . وثانيهما وجدانه في لغته من ضروب النماذج ما يفتق ذهنه ويعين قريحته على الابتكار ويتيح له مجاراة النكر في تحولاته المستمرة. فهي يقيني ان لغتنا العربية الفصحى تكفي كل الكفاية لتكوين الاديب وفي قديمها وحديثها لمن اكب على المطالعة وتوفر على المدارسة ما يستطيع به ان يعبر عن ضروب المقاصد ما دق منها وما جل . فان اوجز . فما اجتمع الكثير من المعاني في القليل من الكلام كما اجتمع في مقاطر اقلام الناطقين بالضاد . وان اسهب . فلينظر كيف جرت المجاجات العذبة من يراع الجهابذة المسهبين جري السلسبيل من الينابيع بلا رنق ولا تفكك ولا انقطاع وأي مطلوب لحسن التشبيه وجمال الاستعارة ادنى الى التناول في لغة منه في لغتنا

واي امة قديمة او مولدة فيها بذاتها ما في لغتنا من الغناء بالاشتقاق وبابه فيها اوسع باب لوالجيه عن حصافة واستقامة سجية

غير ان الاديب بالمعنى الاشرف والامثل ليس الذي يحاكي غيره محاكاة الصدى ويجري وراء سابقيه جري التطريس بالاقدام بل هو الذي يستعين بما بين يديه على الابداء والخلق . شأنه شأن المصور الذي يتوفر على استكشاف خبايا الفن في المقاييس والملاءمات

وسائر ما توصل به المبرزون من متقدميه الى الاتقان العظيم ثم يخيل ريشته في اللوح ليبرز انواراً وظلالاً ووجوهاً وناظر على النحو الذي استحبه بتقديره الخاص وآثره بحكم فكره الذاتي. شأنه كذلك شأن الموسيقي يتقيد بثبوت الاصول العامة لصناعته ولكنه يتخير بين آلاف الاجزاء المشتركة في الضروب ما يؤلف منه نغمه الخاص، نغمه الذي لم يكن فيه ماسخاً صنع غيره او آخذاً اخذه حذوك النعل بالنعل بل مفتناً مخترعاً

بلغاء المتفرنجين

اتيح لنا في لغتنا العربية مثل اعلى لا نظير له فلنتخذه نبراساً لمطالعتنا هذه. العرب في الجاهلية قالوا الشعر فما امتد النفس في جيده الى اطول من المعلقات وقالوا النثر فما يوشك المتخلف منه ان يملأ صحائف كراس صغير على الشتات بين المعاني والاغراض فلما اراد الله ان يبدي للعالمين آية من آيات قدرته انزل كتابه المبين كتاباً عربياً. ومم اتخذ مادته؟ من ادوات تلك اللغة. لم يخلق معجماً جديداً ولم يقض قضاء على السنن المتعارفة بل اخرج من مأثور ما ألفوه واصطلحوا عليه وتفاهموا به تلك المثاني والمثالث التي حيرت الالباب وملأت النفوس بالعجب العجاب. انزلها في كلامهم وابان منها كلامهم. انزلها حدود لسانهم ومعانيها وراء كل حد. وهذا هو سر الانشاء وسحر الابداء

اخرج القرآن المجيد من اللغة العربية الجاهلية لغة استقل بها قلم تجار ما قبلها وهيهات ان تشبه بها محاسن الشعر او عيون النثر في الجاهلية ولم يجارها ما بعدها في البلاغة والفصاحة لمكانها من الاعجاز. ثم جاءت روائع الحديث معقبة من مكان دان على ما هبط به الوحي ونور الوحي متحدر اليها كتحدر شعاع الشمس من قمم الجبال الشماء الى رؤوس الهضاب المتطامنة بجانبها فاتصلت به اسباب التأصيل والتفريع واتسمت وتشعبت ذرائع التحويل والتوسيع لغة جديدة تدفقت اليها جداول الفصاحة القديمة من نواحيها المتعددة فاذا الحوض الذي افضت اليه بحر عذب يهيء الري والغذاء للحدائق الفيحاء التي ازدهى بها الادب العربي وازدهر في ذلك العصر الكبير وفي سائر ما تلاه من العصور

من هذه اللغة الجديدة استعار الخلفاء الراشدون — وناهيك منهم بالامام علي — جمال يانعهم وجلال تبيانهم. تكلموا بكلام هو من صميم مادة العربية لكنهم جاؤا بمعان بديعة في صور شائقة غير مسبوقة

فكانت هنيهة من الدهر سنوات معدودة تمّ فيها الانقلاب الاول والتحول الاعظم في لغة الضاد. فاذا رجعت الى الكتاب على رأس مخلفاتها تحرثه حق حراثته واذا تقفيت بعده خطب الخلفاء الراشدين واسفارهم متدبراً اساليبها جد التدبّر فما تجد من شيء تريد

الكتابة فيه الاَّ وله بمثال قلَّ او كثر طال او قصر تسترشد به وتهتدي بهديه فيما انت منهُ بسبيل . وهناك حصل التصرف العجيب في الحاق معان حديثة بالالفاظ القديمة على ما اقتضاه التحول الديني والتصور الطارئ في مجالات الحياة . ذلك البيان الذي اجتمعت فيه طرائف اللغة العربية والتقت منهُ العنجهية والحوشية ، ونفحت فيه المفردات والجمل بنفحات قدسية صالحة للمعاش والمعاد ، قد اطلع فجراً جديداً على البيان العربي في الحقبة التي تلت ظهور الاسلام الى ما ناهز خمسة قرون

وفي الضوء الساطع الذي اضاء ذلك الفجر به امم المشرق اخرجت القرائح اعاجيبها عقلاً ونقلاً وفقهاً وسياسة وابدت السجايا في مختلف تلك الامم ضروب زينتها باللهجات الفصحى كما ابرزت الالباب كوامن قواها في استصلاح تلك اللهجات لكل شأن من الشؤون العامة والخاصة نظماً ونثراً . فكانت بجملتها وتفصيلها لغة عربية خالصة ولكنها لغة حقبتها

تنبهت اذهان العالم الشرقي العربي والعالم الغربي العربي ايما تنبه للتحبير والتحرير على السنة الجديدة فاوجد النابغون منهم ما لم تسبق به الظنون مما يشتمل عليه الادب من الفنون . ذهب كلٌّ مذهبه وأتى عجباً . فجرى المهل المستتم على قلم عبد الله بن المقفع وصنوه عبد الحميد واندفعت خواطر الجاحظ في كل ما وصل اليه ذهنه من منظور ومحسوس ترسل اشعتها الى اغوار السرائر . وينقل الطبري الى تاريخه ذخائر معرفته باخبار الايام في اسلوب رشيق شائق وجلا احمد بن طاهر محاسن دياجته في كتابه المنثور والمنظوم واستفاض ابو الفرج الاصفهاني في اغانيه بما تقف لديه اكباراً وتوقفك تجاه البحر الزاخر وجاء احمد بن فارس اللغوي المشهور باولى المقامات التي عرفت ثم عقب عليها بديع الزمان بمقاماته وله فيها عداها رواتع بين الاسترسال والتعمل بثي فيها نسج وحده . وجمع الحريري من مكنونات اللغة في مقاماته ما لا تحصيه المخيلة . وأتى الثعالبي من نتيجة الدهر بما اطبق اسمها على مسماها احسن تطبيق . وصاغ ابن خلكان سير الاعيان في قلائد من الجمان . ناهيك بالعتبي في مغازي السلطان محمود بن سبكتكين الى كثير غير اولئك من النوابغ الذين لا تفسح لتعديد اسمائهم الدقائق المعدودة

واما في قرض الشعر فهل اذكر لكم بعد المعلقات المجمهرات والمشوبات والمذهبات والمفضليات والاصمعيات وروائع الاخطل وجرير والفرزدق وبشار بن برد ومسلم بن الوليد وابي نواس ومروان بن ابي حفصة وابي الشيص ودعبل . ثم هل اذكر المتنبي في ابتكاره وابا تمام في جزالته والبحتري في رقته والمعري في حكمته وسمو فكره وسماحة فطرته والشريف الرضي في اقتضابه المدهشة وابن الرومي ومهياراً في اساليبهما المشتملة على ما شاء

الابداع من دقائق الوصف مع امتداد النفس وراء ما كان مألوفاً من صناعة السابقين

بقي ان نشير بكلمة الى ما جاء به اهل الاندلس والمغرب فقد حفظوا البليغ والمأثور من كلام عرب الشرق احسن حفظ وقوموا ملكاتهم على الاساليب الفصيحة البينة ولكنهم ادخلوا في صياغتها ومحسناتها ما شاءته طبيعة بلادهم وما آثرته سجايا اهلها . فاذا قرأت منثورهم فكله وضاء زاهر رقيق متجاف مواطن الوحشية متساوق اللفظ والمعنى في شوط الجلاء على ما تراه في تصفحك العقد الفريد لابن عبد ربه والمقدمة لابن خلدون والاحاطة لسان الدين الخطيب ونفح الطيب للمقري وقلائد العقيان ومطمح الانفس للفتح بن خاقان والمشرق والمغرب لابن سعيد وأولاده . واذا قرأت منظومهم فقل ما شئت في عبقرية ابن هانئ الملقب بمتنبي الغرب وطلاوة ابن خفاجة ورقة ابن حمديس وسهولة ابن سهل والابتكارات واللطائف التي لا تنافسها عقود الدر ولا قطرات الندى ولا نسمات الرياض في الموشحات وتشاريعها وزهرياتها وخمرياتها وفراقياتها بين جد ودعابة

اولئك المتقدمون شرقاً وغرباً من اوردت اسماءهم او لم اوردها قد اتحفونا بلغة ذات اجهزة وافية وآلات متنوعة نهاية التنوع ليستخدمها فكر الاديب الاريب في التعبير عن الكليات مهما كبرت والجزئيات مهما صغرت باتقى ديباجة وابدع وشي والطف ما يصل به اثر القلب الموحى الى ابعد طوايا القلب الذي يتلقى ذلك الوحي مطالعة او سماعاً

غير ان مناجم تلك الجواهر ومنابت هيك اللآلئ دفينة في بطون اسفار جمة ضخمة. وهي فيها متباعدة المظانات مفقودة الاعلام مبهمة الصوى لا يلفتنا اليها الا التنقيب عنها واعنات الروية وكد الذهن في تعرف اماكنها واستخراج نفائسها . علة للقصور لم يتلاف الى الآن القوّام على اللغة الا بعضها . ولكن الاديب لا يكون اديباً الا وقد تجشم هذه الشقة وبذل ذلك الجهد واصبح بالمواضع التي يصيب منها سداداً لحاجته ورفاه بغرضه عليماً بصيراً. ولن يكون على هذا بالاديب التام . فما تلك الا مرحلة في جهاده واجتهاده توصله الى تقويم لسانه وتمحيصه وابعاده عن مزلات الرطانة واللكنة والعجمة وتمرنه كيف يحسن الاقتداء بالسلف ليبدع في غير بدعة تهدم بها نحوم لغته وتتفصم عرى عروبته

هي الاولى من مرحلتين وهي اشقهما مطلباً وأبعدهما غاية . اما الثانية فهي الاطلاع على ما حدث في البيان العربي بعد تلك الحقبة الكبرى اي من بدء زمن الانحطاط الطويل الى مستهل البعثة العتيدة الى نهاية ما وصلت اليه في هذه الايام

أمرٌ مروراً عاجلاً بحقبة الانحطاط التي لم تخل من مجيدين في النظم ان لم يبلغوا المتقدمين صفاء ديباجة ولا فتق ذهن فقد اسلسوا من مقادة التعريب في الالفاظ والاساليب واحدثوا

طرائق خاصة لتسهيل ما صعب من ضروب التصرف في مخلفات الازمنة الاولى الى صورة حال جديدة وفي مقدمة هؤلاء صفي الدين الحلي وابن النبيه وابن معتوق والابي وردي وابن العفيف التلساني والبهاء زهير وابن الفارض وابن مطروح وابن نباته . كذلك لم تخل تلك الحقبة من المجيدين في النثر كابن فضل الله العمري في مسالك الابصار والقلقشندي في صبح الاعشى والمقريزي في الخطط وشهاب الدين التويري في نهاية الارب وابن الاثير الكاتب في الترسل . اما جمهرة الناثرين فكانوا من كتاب الدواوين وفي برهتهم هذه كان الاشتغال بالبديع آية احلال التحليات اللفظية محل المعاني

أدباء العصر الحديث

يمد هذه النظرة افضي بكم الى عصرنا هذا لاتبين معكم بمثل لمح الطائر ما صار اليه اللسان العربي وما يستطيع المتأدب ان يستفيده منه ليستكمل عدة ادبه على النحو الذي يوافق حضارة الزمن ومتباينات مطالبه . بدئت البعثة الادبية في مصر منذ عصر محمد علي وكانت العجمة والركاكة والعامية المشبعة بخليط لا وصف له من الرطانات والكلمات المتحرفة عن اصل مدلولاتها هي الاداة العربية التي يتفاهم بها القوم نطقاً وكتابة . بدئت النهضة والازهر مصدرها غير انها كانت مما يمتُّ الى عهد الانحطاط بسبب ولوع اصحابها بتقاليد البديعيين ولكنها كانت مهبة من سبات الجهل والخمول وحفزة الى غاية من العرفان والباهة وفي طليعة ارباب الاقلام يومئذ بمصر الشيخ حسن العطار، الشيخ حسن قويدر، محمد سيد احمد باشا ، رفاعه بك ، ورجال مدرسة الالسن . ثم اعقبتها على الاثر وقفة لم تجاوز مدتها مدة عباس الاول وسعيد ، فلما تولى اسماعيل استأنفت نشاطها واظهر من ظهر في مبادئها الشيخ محمد شهاب الدين شاعراً وناثراً على رأس سلسلة ينتظم الاستقراء فيها اسماء :عبد الله فكري باشا علي مبارك باشا السيد علي الدرويش، ابراهيم بك مرزوق، محمد قدري ، محمود صفوت الساعاتي ، ابي النعود سلامه التجاري، الشيخ احمد عبد الرحيم، الشيخ علي الليثي ، الشيخ علي ابي النصر ، عبد الخالق الزرقاني ، بين ناثرين وشعراء. بعض هؤلاء ادرك زمن توفيق وفي عهده قويت النهضة بارزة بها اسماء. شفيق منصور ، عبد الله نديم ، الشيخ حمزه فتح الله ، محمود واصف ، الشيخ احمد مفتاح ، احمد سمير، حسن حسني الطويراني ، الخ . الخ

من مخلفات هؤلاء جانب ضاع ولكن جانباً منها ولعله اغلاها قيمة نجا بفضل الله . على ان الروح التي صدرت عنها تلك الحركة ما عتمت ان ابدت في سماء البيان كوكبين من كواكب الاقدار الكبرى هما محمود سامي باشا البارودي شاعراً والاستاذ الامام

الشيخ محمد عبده ناثراً ثم اخذت سماء ذلك البيان تزدان بالنجم تلو النجم في نظام سأذكر من رجاله لكم الذين استأثرت بهم رحمة الله وادع ذكر الاحياء مدَّ الله في آجالهم لانكم تعرفونهم . فمن الشعراء اسماعيل صبري . محمد حفني ناصف . ومن الكتاب عدا الشيخ محمد عبده . ابراهيم اللقاني . ابراهيم المويلحي . وابنه محمد المويلحي . الشيخ عبد الكريم سلمان . مصطفى نجيب . الشيخ علي يوسف . قاسم أمين . احمد فتحي زغلول . الشيخ المهدي . مصطفى كامل . الشيخ المنفلوطي . الشيخ الخضري . امين الرافعي . سعد زغلول . هذا في مصر

وأما في الشام ونهضتها متصلة منذ الساعة الاولى بنهضة مصر وكتب الفريقين متداولة بين البلادين فقد برز كتاب وشعراء اذكرمنهم الذين توفاهم الله ولهم بقايا ادبية يرجع اليها وهم محمد بن حسين الحلبي العطار . كمال الدين الصابوني الجزائري . حسن حبنه . بطريرك الروم الكاثوليك مكسيموس مظلوم . جبرائيل بن يوسف المخلع . كمال الدين الغزي . محمد عابدين صاحب الحاشية الشهيرة في الفقه . عبد الغني الميداني . الامير عبد القادر الحسني . محمد نور الزمانيني . واخوه احمد . وزق القحصون . امين الجندي . فرنسيس المراش . اديب اسحاق . محمود الحمزاوي مفتي دمشق . الشهاب احمد المنيني . ابراهيم الحوراني . ميخائيل مشاقة . الشيخ طاهر الجزائري . الشيخ محمد مبارك . السيد محمد مرتضى . الشيخ عبد الرزاق البيطار . الشيخ جمال القاسمي . السيد عبد الرحمن الكواكبي . وشقيقه السيد مسعود . الشيخ بشير الغزي . رفيق العظم

واما العراق فبجانب جماعة من السادة الالوسية تحت سلسلتهم بابي الثناء وتمت الى قريب بالسيد محمود شكري الالوسي يُذكر من الشعراء والكتاب الذين انتقلوا الى اكرم جوار . كاظم ورضا الازريان . عبد الحميد الاطرقجي . عمر رمضان . صالح التميمي . عبد الغفار الاخرس . عبد الباقي العمري . احمد عزت باشا العمري . السيد حيدر الحلي . حسين العشاري . محمد الشلاي . احمد الحساني . عبد الفتاح السواق . حسن الاحمر . حسن البزاز . السيد ابراهيم الطباطبائي . السيد حسن الداودي . السيد احمد الفخري . واخوه أحمد . السيد محمد سعيد حبوبي الحسيني . السيد جعفر الحلي . الخ . . . . .

واما في لبنان فقد برز من الشعراء والادباء الذين لقوا ربهم . ناصيف اليازجي . ونجلاه ابراهيم وخليل . بطرس كرامه . ابراهيم الاحدب . يوسف الاسير . قاسم ابو الحسن الكتبي . عمر الانسي . احمد البربير . عمر الباقي . احمد فارس الشدياق . مارون النقاش . خليل الخوري . البستانيون : بطرس وسليم وسليمان وعبد الله . نجيب وامين الحداد . الياس صالح . امين وشبلي الشميل . بشاره زلزل . يعقوب صرُّوف . اسكندر وداود عمون . فرح انطون . اسكندر شاهين . نعوم لبكي . جرجس همام . نصيف الملوف . الخ

عددت اعلام النهضة الحديثة في الاقطار العربية الثلاثة بلا تدقيق في الترتيب الزمني لما فاتني في رحلتي من وسائل المراجعة واستغفر الله الى ذكرى الذين انساني ضيق الوقت والاسراع في اعداد هذه الكلمات اسماءهم ففاتتني على غير عمد

ماذا اهدى الى الاديب العربي اولئك الادباء والشعراء ؟ اضافوا الى الذخائر القديمة ذخائر مما اوحت اليهم ايامهم . ألانوا اعواد اللغة من جفاف وآنسوا اوابدها من نفار . عدلوا شيئاً كثيراً من السبك العام للمواضيع في الاسلوب العام للكتابة . ادنوا قطوفاً لم تكن دانية . زادوا على المفردات طائفة مما دعت اليه الحاجات الجديدة وسهلوا التحصيل وفتحوا ابواباً واسعة للتفكير . صنعوا عظيماً . ولكن ما بقي عمله اعظم

التقصير

وهنا كان ولا يزال محل اتهام اللغة بالتقصير في رأي الذين قابلوا بينها وبين سواها فيما يتعلق بالتعبير عن اغراض هذا الزمن وطريقة الاخذ بها كلهم يريدون الطفرة والطفرة محال . اجل بقي علينا عمل اعظم مما عمل ليتسنى القرب بين ما هو كائن وما يجب ان يكون ولكن التبعة في التقصير هي علينا وليست على اللغة

وفي وسع ادبائنا استكمال ما نقص في الاسماء . وانتهاج النهج الذي يريدونهُ في تصوير الخيال والذهاب في المذاهب التي يؤثرونها لأداء معانيهم مع صحة اللغة وصيانة الاساليب الخالصة . وان تكوين الاديب على اي حال اريد ليسور بالمادة التي بين يديه من قديم الكتب العربية وحديثها . على انهُ مطلب شاق ومرمى بعيد لكن الصعوبات تسهل والعقبات تذلل لدى مديم النظر ومدمن المطالعة ومصرف الفكر في وسائل الخلق والتجديد

لقد كان بودي لو اضرب لكم الامثال فانها ادنى متناولاً وابلغ في استيفاء التبيين بيد ان الوقت لا يتسع في هذه المرة فليكن ما ذكرتهُ مقدمة اجمالية موجزة ليستأنف هذا البحث من هو اقدر عليه مني ويهب فيه بالقدر الذي يرجحكم من ثمن الوقت ما اضاعهُ سابقوكم من المعاصرين في التماس المادة الكافية بين قديم الادب العربي وحديثه للوفاء بكل ما تقتضيه مطالب هذا الزمن من الانواع الشعرية والنثرية المتعددة

واختم كلامي بالثناء عليكم لحسن استماعكم وبالرغبة الى الله ان يفيض من فيانن الاقطار العربية للغة الفصحى ادباء يحكمون المباني ويبتكرون المعاني . ويخرجون في الاغراض البيانية الحديثة كتباً تنفح لها صدور الاندية في العالم بجانب اقوم الكتب التي اخرجها ادباء الغرب ويخرجونها كل يوم

خليل مطران